

خلق الله للأسباب

..... والله تعالى مسبب الأسباب هو الذي خلق الأسباب وجعلها مؤثرة؛ من أدلة ذلك قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَلَّا نَحْنُ الْحَالِفُونَ} لا شك أن الإنسان ينسب إليه، أنه هو الذي تزوج بفلانة، وأنه هو الذي أحبلها، وأنها ولدت منه، وأن هذا الولد وهذه الأولاد أنهم ينسبون إليه، ولكن ليس هو الذي خلقهم، الله هو الذي قدر إيجادهم، هو الذي خلقهم وقدر خلقهم، ليس بقدرة الإنسان ولا بقدره، ولا ب�能اته، بل بإيجاد الله تعالى، فلو شاء لجعلهم كلهم إنساناً أو لآخر جهم كلهم أمواناً أو نحو ذلك، فليس للإنسان تمكن في أن يخلق أولاده، ولو كان ذلك إليه لجعلهم ذكوراً، وليسوا خلقهم وجعلهم في أحسن خلق أو نحو ذلك. كذلك قول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَلَّا نَحْنُ الرَّازِغُونَ} أخبر الله تعالى بأنهم يحرثون {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} ولكن الله تعالى هو الذي مكنهم، أولاً أعطاهم القوة التي يتمكنون بها من هذه الأفعال، يتمكنون بها من حرت الأرض، لو شاء لشن حركاتهم، ولو شاء لجعل الأرض صماء لا تنبت أو صخرية، أو نحو ذلك، فلما جعل لهم هذه القوة يحرثون بها بأيديهم أو بما يصنعونه من الماكينات ونحوها، كان ذلك من الله وتوفيقه؛ فلذلك نسب الفعل أولاً إليهم: {مَا تَحْرُثُونَ} ثم قال: {أَلَّا نَحْنُ الرَّازِغُونَ} أنتم تحرثونه تبذرونه بالأرض وتسقونه، والله تعالى هو الذي يسر أسبابه، فهو الذي أوجد لكم هذا الماء الذي تسقون منه، ولو شاء لجعله ملحاً أحاجاً لا ينبع، ولو شاء لاغاره وأعدمه، كما في قوله تعالى: {فُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَا يَعْيَنُ} وأخبر الله تعالى عن صاحب تلك الجنة البستان الذي ذكر في سورة الكهف، في قوله تعالى: {وَأَجِيبُوكُمْ بِمَا يَأْتِيكُمْ فَأَصْبِحَ كَفِيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى غُرُوشَهَا} فلذلك يقول: {لَوْلَئِنْ لَجَعَلْتَهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ بَعْكَهُونَ} أي طللت متناسفون على فعلكم، وتقولون: {إِنَّا لَمُغَرَّمُونَ بِلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} فالفعل من الله تعالى، وإن كان للإنسان حركة وله إرادة وله فعل ينسب إليه؛ فلذلك نقول: إن على الإنسان أن يعمل بما أقدره الله عليه؛ فيعرف بأن الله هو الذي أعطاه العقل وهو الذي أعطاه القوة، وهو الذي أعطاه السمع والبصر، وهو الذي أقامه على قدميه، وهو الذي أعد يديه وجعل فيهما هذه القوة، وهو الذي بسط هذه الأرض وسخرها، وهو الذي جعلها قابلة للنبات، وهو الذي جعل فيها هذا الماء الذي تروي به وتسقى به، وهو الذي أيضاً جعلها منبطة قابلة للنبات. مع أنه تعالى فاوت بين الأرض؛ فأنت ترى قطعة من الأرض سبخة لا تنبت ولا تمسك الماء، وترى قطعة أخرى صخرية لا تقبل الماء ولا تنبت، وتجد أرضاً أخرى تربوية وأخرى جبلية، وكل ذلك بخلق الله تعالى؛ فيعرف الإنسان بأن كل ما في الوجود، فإنه خلقه وتكوينه وكان بقضاءاته وبقدره.